

الغبية

ر

obeyikandi.com

## الغيبية

من يتدبر منظومة التجريم والعقوبة في الإسلام يجد تناسباً واضحاً بين أثر الجريمة والعقوبة المترتبة عليها، فمثلاً الزنا جريمة تعريفها الفسيولوجي واحد، لكن أثرها يختلف وبشكل كبير إذا ما وقعت من شاب غير متزوج أو شابة غير متزوجة مقارنة بآثارها إن وقعت من متزوج أو متزوجة، وتزداد آثارها إن وقعت مع زوجة جار أو من رجل كهل (أشيمط) أصبح قدوة للناس، وقلت عنده الدوافع، وقد رتب الشرع وعيداً وعقوبة مختلفة لكل نوع، والسرقه كذلك إن وقعت في غير محرز تختلف عن الحرز، وتختلف عن السطو أو قطع الطريق.

أتذكر هذا دائماً عندما أسمع الوعيد الوارد في حق من يغتاب الناس. ما الأثر الذي تسببه الغيبة، حتى يستحق مرتكبها هذا الوعيد، وحتى يرد نص قرآني قاطع فيها «ولا يغتاب بعضكم بعضاً يجب أحذكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه» تشبيه رهيب لممارسة الغيبة.

وعرف الرسول الكريم ﷺ الغيبة ببساطة: «ذكرك أخاك بما يكره».

فما الأثر الذي يتركه تفككه مجموعة من الناس بأحدهم، وهو غائب لا يعلم؟ دعونا نتذكر ناموساً كونياً أصبح في حكم المسلمات، وهو أن الإنجازات الكبرى تحتاج إلى مغامرات وإلى جسارة على الأخطار، وتقبل نسبة عالية من الفشل. تكاد ثقافة المغامرة وقبول الأخطار العالية تفسر جزءاً كبيراً من تفوق الأمة الأمريكية وسيادتها على العالم في القرن العشرين.

إن انتشار الغيبة وعلم كل فرد بالمجتمع أن الألسن ستلوكة إذا ما فشل أو أخفق في مشروع أو عمل سترفع تكلفة المغامرة، وتجعل الفرد يحجم عن الأخطار ويربي أبناءه على سلوك دروب السلامة، ومن ثم تشيع ثقافة الخنوع، وثقافة الانشغال بالآخر، والصدود عن الذات وقبول الواقع وإيثار السلامة، وتنتشر في مجتمعنا منظومة من الأمثال التي تمجد هذا السلوك: «من خاف سلم» «باب يجيك منه الريح سده واستريح»، «احفظ للناس، ولا تصلح لهم» وهكذا.

يقول المحفز الأسترالي الشهير بول حنا: «إن الهوة الكبيرة لا يمكن تجاوزها في قفزتين» فالمغامرة وتقبل نسب عالية من الأخطار أمر ضروري لأي مشروع كبير على المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي. فإن كانت تكلفة الفشل عالية فقد تسبب ثقافة المجتمع التي ترفع تكلفة الفشل عزوف أفرادها عن المغامرات، وتحمل الأخطار، ومن ثم الإحجام وخسارة المجتمع من ثمرات الخطوات الجريئة والقفزات الواسعة. إذاً، الغيبة عائق تنموي خطير، حيث يؤدي شيوعها إلى رفع تكلفة الإخفاق وعزوف أفراد المجتمع عن أي مبادرة تتحمل الفشل.